

### وائل قنديل يكتب: الجنرال بلا فلاتر



الجمعة 2 يناير 2015 11:03 ص

ضع نفسك مكان أي مواطن بريطاني أو فرنسي أو أسترالي، وأنت تطالع كلمات للجنرال الذي يحكم مصر، يتحدث فيها عن المسلمين والعرب في الخارج، على النحو التالي:

"لا يوجد دين يصطدم مع الدنيا كلها، انظروا إلى الخراب والدمار الذي يسببه بعض المسلمين. إذا كان بعضنا يسافر ليعيش وسط ناس في الخارج، ويتحول بعدها بعشرة أو خمسة عشر عاما إلى إرهابي، ويحاول مقاتلتهم، فلماذا يذهب إليهم من الأساس؟".

كلمات عبد الفتاح السيسي، هذه المرة، لم تأت في لحظة غابت عنه فيها "الفلاتر"، ولم تكن تسرياً جديداً من مكتبه، ولم تكن نوعاً من التلغيم الذي يعتربه حين يباغته أحد بسؤال، بل كانت، وعلى عهدة صحيفة "الشروق" المصرية، نصا مكتوبا ألقاه في مناسبة الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف أمام شيخ الأزهر والعلماء.

ومن الواضح أن الرجل لم يكن يتحدث للعلماء والمشايخ، بل بدا وكأنه يتقدم ببلاغ إلى هيئات الشرطة في البلاد التي هاجر إليها عرب ومسلمون، يحذرنا فيه من الفارين من جحيم الاستبداد والبلادة والقمع في موطنهم الأصلي، ذلك أن فحوى هذه الكلمات الركيكة بمثابة دعوة لسلطات ومواطني دول المهجر، للحذر ممن يعيشون بين ظهرانيهم، باعتبارهم مشاريع إرهابيين.

وبدهشك، هنا، أن الإعلام الغربي نفسه لم يذهب إلى هذا التعريض بالمغتربين والتشكيك في جدارتهم بالحياة داخل هذه المجتمعات، بل إن سكان هذه البلاد الأصليين لم يتعاملوا أبداً مع المهاجرين بهذا القدر من التوجس والاحتقار والعنصرية الطافحة من خطاب الجنرال. حتى في أحلك الظروف التي تمر بها هذه المجتمعات، لم يحدث أن اعتبر أعتى متطرفيها أن الإسلام "دين يصطدم مع الدنيا كلها".

في أستراليا، مثلاً، وعقب حادثة احتجاز رهائن في مقهى بوسط مدينة سيدني، الشهر الماضي، أطلق نشطاء أستراليون على مواقع التواصل الاجتماعي حملة "سأسير معك"، بهدف طمأنة النساء المسلمات المقيمات في أستراليا، بأنهن لن يتعرضن للخطر، وذلك للتعبير عن التضامن مع المحجبات اللواتي أصبحن قلقات من صعود القطارات وحافلات النقل العام، جراء هذه الحادثة.

الفتاة الأسترالية راشيل جاكوبس التي أطلقت الحملة، قالت في تغريدتين على "تويتر": "رأيت المرأة التي تجلس بجاني في المترو تزيل حجابها في صمت. ولما نزلنا من المترو، ركضت تجاهها، وقلت لها ضعني حجابك. لا تخافي، سأرافقك، فأجهشت في البكاء وضممتني مدة دقيقة".

ومن أستراليا إلى السويد، نشرت سيدات سويديات عديدات، في يوليو/تموز الماضي، صوراً يرتدين فيها الحجاب على مواقع التواصل الاجتماعي، ضمن حملة تضامن مع سيدة مسلمة، تعرضت لاعتداء عنصري بسبب ارتدائها الحجاب.

إن المجتمعات الغربية تحفظ أسماء مئات من النوايا العرب والمسلمين الذين هاجروا إليها، واستقروا واندمجوا فيها، وصاروا مصدر فخر لهذه المجتمعات، وخير سفراء لدولهم الأصلية، من علماء أفاضل ولاعبين كرة ومفكرين، ولم ينظر إليهم أحد باعتبارهم "إرهابيين خطرين"، إلا المصايين بلوثة العداة للأجانب.

يتساءل السبسي في كلمته "لماذا لا يخرج من عندنا إلا هذا الفكر.. كل الناس خايفة منا، يقولون إننا، كمسلمين، في كل منطقة ندخلها، تتحول إلى خراب، وبعد شهر أو عشرة، نتحول إلى قتلة ومخربين.. لا والله لا يمكن أن يكون أبدا هذا الفكر، الذي بصر البعض أن يستقي منه أفكاره منذ حوالي ألف سنة".

يتحدث السبسي، إذن، وفقا للقاعدة السوقية "الزبون عاوز كده"، والزبون، هنا، هو هؤلاء المسكونون بلوثة عنصرية يمينية متطرفة، تعادي الأجانب بشكل عام، والقادمين من الجنوب من العرب والمسلمين خصوصا، كله كسبا للنقاط في "تمبولا الحرب على الإرهاب"، غير أن المثير حقا أن أحداً من المشايخ الأجلاء الذين استمعوا لهذه النظرية العبقرية لم يقل له إنه قمة الدونية الثقافية واحتقار الذات أن نهين ألف عام بالتمام والكمال من تاريخ الإسلام، حين ندمغها بالإرهاب والتطرف.

إن أسهل طريق يسلكه الطغاة لمعاينة شعوبهم، في الداخل والخارج، هو اتهامها بالإرهاب والجهل، وقارن بين كلمات السبسي وكلمات بشار الأسد في ذروة ثورة الشعب السوري ضده، والتي ذهب فيها إلى أن الملايين من الشعب السوري الذين يؤيدون الثورة هم إرهابيون، وأن سورية كلها مصابة بفشل أخلاقي واجتماعي. لن تجد فرقا في الرؤية، فكلاهما يقتل شعبه في الداخل، ويبلغ عنه في الخارج.

\*العربي الجديد.

